قبسات من مشكاة النبوة

(ذاق طعم الإيمان)

عناصر الخطبة:

هل للإيمان طعم ومذاق

حاجتنا لاستشعار هذه اللذة.

أسباب فقدان لذة الطاعة

كيف نحصل الحلاوة الإيمانية واللذة القلبية

التفصيل

عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **((ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))**. (١)

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))**. (٢)

-: هل للإيمان طعم ومذاق؟

الجواب: نعم للإيمانِ طَعْمٌ ومَذَاقٌ يَفُوقُ كلَّ طَعْمٍ وكلَّ مَذَاقٍ، فطَعْمُ الإيمانِ أحلى وألذُّ مِنَ العسلِ، ومَنْ جرَّبَ ذاقَ ومَنْ ذاقَ عَلِمَ أنَّ هذه الحلاوة لا تذاق باللسان إنما تذاق بالقلب، لذلك لا يستطيع اللسان أن يُعَبِّرَ عن مدى حلاوتِها. . . فحلاوةُ الإيمانِ حلاوةٌ داخليةٌ في نفسٍ رَضيَّةٍ وسكِيْنَةٍ قَلبيةٍ، لا أرَقَ ولا قلقَ ولا

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم (٣٤)

ضيقَ ولا تضييقَ، بل سَعةٌ ورحمةٌ، ورضىً ونعمةٌ: {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النساء: ٧٠] { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الجمعة: ٤] ولكن مَنْ يُقدِّر هذه اللذة قدرها! ومَنْ يعرفُ عِظَمِ أثرها؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَوْلَا جهل الأكثرين بحلاوة هَذِه اللَّذَّة وَعظم قدرهَا

لتجالدوا عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ، فَقَدْ قال بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَّذَّةَ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

حاجتنا لاستشعار هذه اللذة في حياتنا

فالكثير منا الآن يشكون من الهموم وضيق الصدر وضعف الهمة، والكثير أيضاً يشكون من عدم التركيز في العبادات، من عدم الخشوع، من فقدان روح ولذة العبادات، وترتَّب على ذلك انعدام أثر العبادة في السلوك والمعاملات، فترى مصلٍ ويغش، مصلٍ ويسب ويشتم، تراه مصلياً ويأكل الربا والحرام، تراها تصلي وتخرج من بيتها متبرجة متزينة متعطرة، لتدمر قلوب الشباب وأخلاقهم، وهكذا، لقد هان قدرُ الدين في قلوب بعض المسلمين، فصار بعضُهم {يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} وذلك بسبب، خواء الروح، وفراغ القلب من الأنس بالله والتلذذ بالقرب منه سبحانه.

أيها الأحبة، عملٌ بلا خشوعٍ ولذةٍ وحلاوةٍ، كجسدٍ بلا روح لا قيمة له ولا وزن. فلابد أنْ يُراجع كل إنسان منا نفسه، حتى يتدارك الخلل، قبل أنْ يفوت الأوان.

- السلف واستشعار لذة الإيمان

كانت لذة سلفنا الصالح بطاعتهم وصلتهم بربهم جل وعلا لذة عظيمة غمرت مشاعرهم وإحساسهم، لذلك استغنوا بها عن لذات الدنيا الفانية وإليك بعض المشاهد التي توضح هذا المعنى:

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**)). (٣)

وعَنْ أَنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**)). (٤)

وقال بعض السلف: إِنِّي أَدْخُلُ الصَّلاةَ فأَحْمِلُ هَمَّ خُروجِي مِنها وَيَضِيقُ صدْرِي إذا عَرَفْتُ أَنِّي خَارِجٌ منها.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إِنِّي لأَفْرَحُ بالليلِ حِينَ يُقْبِلُ، لِمَا يَلْتَذُ بِهِ عَيْشِي وتَقَرُّ بِهِ عَيْنِي مِنْ مُناجاةِ مَنْ أُحِبُّ، وخلْوَتِي بخِدْمَتِه والتَّذَلُّلُ بينَ يَدِيْهِ، وأَغْتَمُّ للفَجْرِ إذا طَلَعَ، لِمَا اشْتَغِلُ به بالنَّهارِ عَنْ ذلك، فلا شَيءَ أَلَذُّ للمُحِبِّ مَنْ خِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ وطاعَتِهِ. (٥)

وَقَالَ أبو سليمان الداراني رحمه الله: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَذُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا. (٦)

- أسباب فقدان لذة الطاعة وحلاوة الإيمان

---

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧)

(٤) رواه النسائي (٣٩٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٩٩)

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٢١)

(٦) موعظة المؤمنين (ص: ٨٩)

١- إهمال مصدر هذه الحلاوة ومنبع هذه اللذة ألا وهو القلب

قال ابن القيم رحمه الله: فعمل القلب هو روح العبودية ولبها فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح. (٧)

قال ابن رجب رحمه الله: فالإيمانُ له حلاوةٌ وطعْمٌ **يُذاقُ بالقلوبِ** كما تُذاقُ حلاوةُ الطعامِ والشرابِ بالفَمِ، فإنَّ الإيمانَ هو غذاءُ القلوبِ وقوْتُها، كما أنَّ الطعامَ والشرابَ غذاءُ الأبدانِ وقوْتُها، وكما أنَّ الجسدَ لا يجدُ حلاوةَ الطعامِ والشرابِ إلا عندَ صحتِه فإذا سَقِمَ لم يجَدْ حلاوةَ ما ينفعُه مِن ذلك، بل قد يستحلي ما يَضرُّه وما ليس فيه حلاوةٌ لغلبةِ السَّقَمِ عليه، **فكذلك القلبُ إنما يجدُ حلاوةَ الإيمانِ إذا سَلِمَ مِن أسقامِه وآفاتِه**، فإذا سَلِمَ مِن مرضِ الأهواءِ المُضلةِ والشهواتِ المُحرمةِ وَجَدَ حلاوةَ الإيمانِ حينئذٍ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يجدْ حلاوةَ الإيمانِ، بل يَستَحلِي ما فيه هلاكُه مِن الأهواءِ والمعاصي. ومَن هُنا قال ﷺ: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) لأنه لو كَمُلَ إيمانُه لوجَدَ حلاوةَ الإيمانِ، فاستغنى بها عن استحلاءِ المعاصِي. وسُئِلَ وُهيبُ بنُ الوَرْدِ: هلْ يَجِدُ طَعْمَ الإيمانِ مَن يَعصي الله؟ قال: لا، ولا مَن هَمَّ بالمعصيةِ.

٢- ضعف النية وقلة الإخلاص

قال ابن القيم رحمه الله: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رحمه الله يَقُولُ: إذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِك وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ. **يَعْنِي** أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ. فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ **فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ**. (٨)

قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنَّ سُرُورَ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَفَرَحَهُ بِهِ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِهِ. لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا أَلْبَتَّةَ. وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يُقَاسُ بِهِ. وَهُوَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا السُّرُورَ يَبْعَثُهُ عَلَى دَوَامِ السَّيْرِ

(٧) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٢)
(٨) مدارج السالكين (٢/ ٦٨)

إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي طَلَبِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا السُّرُورَ، وَلَا شَيْئًا مِنْهُ، فَلْيَتَّهِمْ إِيمَانَهُ وَأَعْمَالَهُ. فَإِنَّ لِلإِيمَانِ حَلاَوَةً، **مَنْ لَمْ يَذُقْهَا فَلْيُرَاجِعْ نفسه**، وَلْيَقْتَبِسْ نُورًا يَجِدُ بِهِ حَلاَوَةَ الْإِيمَانِ. (٩)

فوجود الإحساس في القلب والتألم للمعصية والسرور بالطاعة علامة على حياة هذا القلب وصدق النية والبعد عن النفاق والرياء، ويدل على هذا المعنى ما جاء **عن عُمَر بن الخطاب** ﷺ قال: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ)). (١٠)

٣- إهمال مجاهدة النفس على طاعة الله

قال ابن القيم رحمه الله: الْمَصَالِحُ والخيراتُ وَاللَّذَّاتُ والكمالاتُ كلُّهَا لَا تُنَال إِلَّا بحظٍّ من الْمَشَقَّة، وَلَا يُعبرُ إِلَيْهَا إِلَّا على جِسرٍ من التَّعَبِ، وَقد أجمعَ عقلاءُ كلِّ أمةٍ على أَنَّ النَّعيمَ لَا يُدْرك بالنعيم، وَإِنَّ مَن آثرَ الرَّاحَةَ فَاتَتْهُ الرَّاحَة، وَإِنه بِحَسبِ ركُوبِ الْأَهْوَالِ واحتمالِ المشاق، تكونُ الفرحةُ واللذةُ، فَلاَ فرحةَ لمنْ لَا هَمَّ لَهُ، وَلَا لَذَّة لمنْ لَا صَبر لَهُ، وَلَا نعيمَ لمن لَا شقاءَ لَهُ، وَلَا رَاحَةَ لمنْ لَا تَعبَ لَهُ، بل إِذا تَعِبَ العَبْدُ قَلِيلاً، استراحَ طَوِيلاً، وَإِذا تحمَّلَ مشقةَ الصَّبْرِ سَاعَةً، قَادَهُ ذلك لحياةِ الْأَبَد، وكلُّ مَا فِيهِ أهلُ النَّعيمِ الْمُقِيم، فَهُوَ صَبرُ سَاعَةٍ، وَالله الْمُسْتَعَان وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه، وَكلما كَانَت النُّفُوسُ أشرفَ، والهمةُ أعلا، كَانَ تَعبُ الْبدنِ أوْفرَ وحَظُّه مِن الرَّاحَةِ أقلّ، كَمَا قَالَ المتنبي:

وَإِذا كَانَت النُّفُوس كبارًا. . . تعبتْ فِي مرادِها الْأَجْسَام. (١١)

وقال ابن القيم رحمه الله: السَّالِكُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَجِدُ تَعَبَ التَّكَالِيفِ وَمَشَقَّةَ الْعَمَلِ. لِعَدَمِ أُنْسِ قَلْبِهِ بِمَعْبُودِهِ. فَإِذَا حَصَلَ لِلْقَلْبِ رُوحُ الْأُنْسِ زَالَتْ عَنْهُ تِلْكَ التَّكَالِيفُ وَالْمَشَاقُّ. فَصَارَتْ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ. وَقُوَّةً وَلَذَّةً.

---

(٩) مدارج السالكين (٢/ ٦٧)

(١٠) رواه الترمذي (٢١٦٥) والنسائي (٩١٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٩)

(١١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥)

فَتَصِيرُ الصَّلاَةُ قُرَّةَ عَيْنِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عِبْئًا عَلَيْهِ. وَيَسْتَرِيحُ بِهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ يَطْلُبُ الرَّاحَةَ مِنْهَا. فَلَهُ مِيرَاثٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﷺ: ((أَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ يَا بِلاَلُ)). ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ)) وذلك بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَأُنْسِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَوَحْشَتِهِ مِمَّا سِوَاهُ. (١٢)

قال ثابت البناني رحمه الله: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة. فكنت أدخل في الصَّلاة فأحمل همَّ خروجي منها ويضيق صدري إذا فرغت لأني خارج منها. (١٣)

وقال ابن القيم رحمه الله: وهذه اللذة والتنعم بالخدمة إنما تحصل بالمصابرة على التكره والتعب أولا، فإذا صبر عليه وصدق في صبره أفضى به إلى هذه اللذة، قال أبو يزيد: "ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكى حتى سقتها إليه وهي تضحك". (١٤)

قال القسطلاني رحمه الله: فمن جاهد نفسه على الطاعة وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل في الدين المشقات، بل ربما يلتذ بكثير من المؤلمات. (١٥)

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رحمه الله؛ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ الرَّازِيُّ رحمه الله: إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِدَ حَلاوَةَ الْعِبَادَةِ وَتَبْلُغَ ذُرْوَةَ سَنَامِهَا؛ فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَائِطًا مِنْ حَدِيدٍ. (١٦)

٤- عدم التركيز في العبادات: فالصلاة التي كانت قرة عيون المؤمنين، ومعراج المتقين، أصبحت عند كثير من المصلين عبارة عن حركات منظمة تفتقد الخشوع والطمأنينة. وأنَّى لصلاة كهذه أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، فتؤدي وظيفتها في حياة الناس وسلوكهم. . . !

(١٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٤)
(١٣) صفة الصفوة (٢/ ١٥٤)
(١٤) طريق الهجرتين (ص: ٣٢١)
(١٥) إرشاد الساري (١/ ١٠٤)
(١٦) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٥٣٣)

والزكاة التي شرعت طهرة للقلوب، وتزكية لها من حب المال أصبحت عند كثير من المؤدين لها ضريبة من الضرائب، يحتال عليها ويتثاقل من دفعها. وأنَّى لمثل هذه الزكاة أن تردع صاحبها عن الحرام، وأن تطهر قلبه من حب المال. . . !

وشهر رمضان الذي كان مدرسة التقوى والصبر. . . أصبح شهر طعام وشراب، وتلذذ وسمر. . . يفهمه كثير من الصائمين امتناعا عن الطعام والشراب في النهار، واسترسالا فيه بالليل، وأنى لمثل هذا الصيام أن يطهر النفوس ويربيها على فضائل

الصيام. . . ! وقل مثل هذا في كل شعيرة من الشعائر التعبدية. (١٧)

كيف نحصل هذه الحلاوة الإيمانية واللذة القلبية؟

نحصل حلاوة الإيمان من خلال الأسباب التي ذكرها النبي ﷺ، وهي:

١- الرضا بالله والرضا عن الله:

فَالرِّضَا بِهِ سبحانه رَبًّا فَرْضٌ. بَلْ هُوَ مِنْ آكَدِ الْفُرُوضِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ. فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا، لَمْ يَصِحَّ لَهُ إِسْلَامٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا حَالٌ.

وَأَمَّا الرِّضَا عَنْهُ: فَهُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ، وَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ. . . وَالرِّضَا بِهِ: أَصْلُ الرِّضَا عَنْهُ، وَالرِّضَا عَنْهُ: ثَمَرَةُ الرِّضَا بِهِ. (١٨)

قال ابن القيم رحمه الله: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ. (١٩)

(١٧) مجلة البحوث الإسلامية (٢/ ١٩٠)

(١٨) مدارج السالكين(٢/ ١٨١)

قال ابن القيم رحمه الله: وَالرِّضَا جنَّة الدُّنْيَا ومستراح العارفين فَإِنَّهُ طيب النَّفس بِمَا يجْرِي عَلَيْهِ من الْمَقَادِير الَّتِي هِيَ عين اخْتِيَار الله لَهُ وطمأنينتها إِلَى أَحْكَامه الدِّينِيَّة وَهَذَا هُوَ الرِّضَا بِاللَّه رَبًّا، وَمَا ذاق طعم الْإِيمَان من لم يحصل لَهُ ذَلِك. (٢٠)

ومن لوازم الرضا بالله وغيره بحطه تعالى:

- أن ترضى بربوبية الله، وأنه هو الذي خلق ورزق، وملك ودبَّرَ الكون، وأنعم بكل النعم.

فالرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا: أَنْ لَا يَتَّخِذَ رَبًّا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى يَسْكُنُ إِلَى تَدْبِيرِهِ. وَيُنْزِلُ بِهِ حَوَائِجَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٦٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَيِّدًا وَإِلَهًا. يَعْنِي فَكَيْفَ أَطْلُبُ رَبًّا غَيْرَهُ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟. (٢١)

قال هرم بن حيّان رحمه الله: المؤمن إذا عرف ربّه عزّ وجلّ أحبّه، وإذا أحبّه أقبل إليه. (٢٢)

قال تعالى{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس: ٣١، ٣٢]

ويترتب على الرضا بالربوبية:

- **الاعتراف بنعم الله تعالى** وأنَّ كل نعمة أنت فيها هي من عند الله { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣] وقال تعالى{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}

(١٩) الداء والدواء (ص: ١٢٠)
(٢٠) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٣)
(٢١) مدارج السالكين(٢/ ١٧٨)
(٢٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٦)

[النحل: ١٨] وقال تعالى {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم: ٣٤]

- **تأدية شكر هذه النعم** { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم:٧]

وأخبر سبحانه أن القليل من الناس هم الذين يؤدون شكر النعم {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣]

فلا تُستخدم هذه النعم في معصية الله، وإنما تُسخر لما خُلقت له، ولنحذر أن نكون ممن قابل نعم الله بالجحود والكفران، قال تعالى{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم: ٢٨]

وقال تعالى{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } [النحل: ٨٣]

- **ومن لوازم الرضا بالله، الرضا بألوهية الله،** وأنه الإله الحق، لا يستحق أحد العبادة والتذلل والخضوع وكمال الحب وكمال الذل إلا هو سبحانه، فَمَنْ أَعْطِيَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا حَقَّهُ سَخِطَ عِبَادَةَ مَا دُونَهُ قَطْعًا. { قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ } [الزمر: ١٤، ١٥] وقال تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

قال ابن القيم رحمه الله: لَا تَقَرُّ الْعَيْنُ، وَلَا يَهْدَأُ الْقَلْبُ، وَلَا تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إِلَّا بِإِلَهِهَا وَمَعْبُودِهَا الَّذِي هُوَ حَقٌّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ. (٢٣)

(٢٣) الداء والدواء (ص: ١٢٠)

- ومن تمام الرضى بألوهية الله تعالى، أن تعتز بأنك عبدٌ لله تعالى

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفاً وَعِزّاً ❋ وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ❋ وَأَن أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيَّا

قال تعالى{ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [الحجرات: ١٧]

- ومن لوازم الرضا بالله، أن ترضى بما قدره لك، أن ترضى بما قسم الله لك، ولا تعترض على قدر الله، وأن تعلم أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ.

قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي)). (٢٤)

وما علينا نحن – أهل الإيمان – إلا التسليم والرضا بقدر الله، والصبر على ما قدره سبحانه علينا مما ظاهره الشر، أو الشكر لما قدره لنا من خير.

عَنْ صُهَيْبٍ الرومي ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))**. (٢٥)

(٢٤) رواه أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٠٥)

(٢٥) رواه مسلم (٢٩٩٩)

قال أَحْمد بن أبي الْحَوَاري رحمه الله: غَايَة الرِّضَا بِاللَّه إِذا كنت رَاضِيا بِكُل مَا قدر الله تَعَالَى وقضاه وأحكمه وأمضاه وَأَنه هُوَ المتفضل على الْمُتَّقِينَ بفضله والخاذل لمن شَاءَ بعدله. (٢٦)

٢- ومن أسباب تحصيل حلاوة الإيمان، الرضا بمحمد ﷺ رسولا.

ومن لوازم الرضا برسول الله ﷺ:

- تصديقه فيما أخبر، فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤]

- طاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر.

فطاعة الرسول ﷺ، من طاعة الله تعالى {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠]

ونحن مأمورون بامتثال أمره واجتناب نهيه ﷺ، قال تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]

وقال تعالى {**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**} [الأحزاب: ٣٦]

- وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

قال تعالى{ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[النور: ٦٣]

(٢٦) بستان الواعظين(ص: ١٩٧)

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)). (٢٧) وعند مسلم بلفظ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)). (٢٨)

- وأن نسلّمَ لحكمه وأن نرضى بقضائه.

قال تعالى: {**فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** } [النساء: **٦٥**] فالتسليم لحكمه والرضا بقضائه ﷺ، لشخصه في حياته، أما بعد موته فالردُّ إلى سنته وهديه، قال ﷺ، كما في حديث **العرباض بن سارية** ﵁: ((**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**)). (٢٩)

- أنْ لا يَتقدمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأمْرٍ ولَا نَهْيٍ، وأنْ لا ترْفَعَ الْأصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ.

قال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** } [الحجرات: **١، ٢**]

٣ - ومن أسباب تحصيل حلاوة الإيمان الرضا بالإسلام دينا

لأنه هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للخلق أجمعين{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: **١٩**]

ولأنه هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لنا نحن المسلمون {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: **٣**]

---

(٢٧) متفق عليه.

(٢٨) مسلم (١٧١٨)

(٢٩) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٩)

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سِوَاهُ ❊❊ إذا افْتَخَرُوا بقيْسٍ أو تَمِيمِ

ومن ابتغى دينا غيره كان من الخاسرين في الدنيا والأخرة { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: **٨٥**]

قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ،: إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ. (٣٠)

ومن لوازم الرضا بالإسلام:

- أن نطبقه في جميع أمور حياتنا

- أن يكون ولاؤنا وبراؤنا من أجله.

- الدفاع عن هذا الدين، ونشره في الدنيا، وعدم التفريط، وأن يكون شعاراً ظاهراً لنا في كل أفعالنا وأقوالنا وواقعاً نعيشه في كل أمور حياتنا.

٤ - ومن أسباب تحصيل حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما

فمحبة الله تعالى هي:

الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ

(٣٠) رواه الحاكم (١/ ١٣٠) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٨)

فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ. (٣١)

وهي: الشَجَرَةُ إِذَا غُرِسَتْ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ، وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ، أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثِّمَارِ. وَآتَتْ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ. وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. (٣٢)

- وتظهر حقيقة محبة العبد لربه إذا تعارض أمرُ الله تعالى أو نهيه مع هوى النفس أو

تحصيل شهواتها ورغباتها، فعند ذلك يُبلى السرائر ويبدو جلياً ما انطوت عليه الضمائر.

* فهذا يوسف عليه السلام لما دعته امرأة العزيز – صاحبة المنصب والجمال والأمر

والنهي – إلى الوقوع معها في الفاحشة، وقد هيأت له كل السبل ومهَّدتْ له كل الطرق، قال عند ذلك ((معاذ الله)).

ففاضت محبة الله تعالى في قلب يوسف عليه السلام فلم يبقَ في قلبه موضع لشهوة محرمة.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ.

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ. . . هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ. . . إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ(٣٣)

(٣١) مدارج السالكين (٣/ ٨)

(٣٢) مدارج السالكين (٣/ ١١)

(٣٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٧)

- ومن أظهر علامات محبة العبد لربه:

- اتباع النبي ﷺ.

قال تعالى{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: ٣١]

- ومن علامات محبة العبد لربه التذلل للمؤمنين وخفض الجناح لهم ومعاداة الكافرين.

قال تعالى{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**} [المائدة: ٥٤]

وقال تعالى في وصف أكثر الخلق محبة لله تعالى{**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** } [الفتح: ٢٩]

- محبة رسوله ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**))(٣٤)

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ ﷺ: ((لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ

(٣٤) رواه البخاري (١٤)

إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ ﷺ: ((الآنَ يَا عُمَرُ))[٣٥]

وقوله (لا) لا يكمل إيمانك. (الآن) كمل إيمانك.

٥- ومن أسباب تحصيل حلاوة الإيمان أن تحب المسلم لا تحبه إلا لله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ رسول الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ أَحَبَّ – وَفِي رواية: مَنْ سَرَّهُ – أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)). [٣٦]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)). [٣٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَحِبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغِض فِي اللهِ، وَوَالِ فِي اللهِ، وَعَادِ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلاَيَةُ اللهِ بِذَلِكَ، لاَ يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ. [٣٨]

والحمد لله رب العالمين

(٣٥) رواه البخاري(٦٦٣٢)

(٣٦) رواه أحمد (٢/ ٢٩٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٣)

(٣٧) رواه أبو داود (٤٦٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤)

(٣٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٦٨)